من آية الله الحائري اليزدي إلى الإمام الخميني



مقدمة

لقد كان الكيان الصهيوني المشؤوم، طوال سنوات وجوده، مصدراً لجرائم لا حصر لها وممارسات ظالمة لا تُعدّ. فمنذ احتلاله أرض فلسطين، ارتكب، بدعم من الاستعمار الأمريكي، شتى أنواع الجرائم بحق الشعب الفلسطيني. ولا يزال هذا الكيان يواصل وجوده المشؤوم، بعد أن أزهق أرواح آلاف الأطفال والنساء والرجال والشيوخ والشباب في مجازر وحشية. وليس هذا المقال بصدد استعراض جرائم الكيان الصهيوني؛ إذ إن الحديث عنها لا يتسع له مقال واحد، بل ولا حتى مجلدات عدة. وإنما يسعى هذا البحث إلى دراسة مواقف مراجع التقليد وآيات الله العظام من ظاهرة إسرائيل، لبيان أن ما يثيره بعضهم من اعتراضات وشبهات بشأن تساهل المراجع الشيعة وآيات الله العظام أو عدم اكتراثهم بقضية احتلال فلسطين واستمرار وجود إسرائيل، لا يستند إلى أساس صحيح؛ فالتاريخ الموثّق يثبت خلاف ذلك.

لمحة موجزة عن تاريخ نشأة إسرائيل

عقب انعقاد المؤتمر الصهيوني العالمي الأول عام 1897م، أصبح إنشاء دولة يهودية في أرض فلسطين في صدارة أنشطة الحركة الصهيونية والاتحادات اليهودية العالمية. وقد ترأس هذا المؤتمر تيودور

هرتزل.[1] وكان الهدف الأساسي للصهيونيين في مؤتمرهم الأول هو السعي إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. وفي المؤتمر الثاني، الذي عُقد بعد سنوات قليلة، جدّد غالبية المندوبين اليهود تأكيدهم على ضرورة إنشاء دولة يهودية.[2]

وبعد الحرب العالمية الأولى، خلص وزير الخارجية البريطاني، اللورد بلفور، إلى أن مصالح لندن تتوافق مع إقامة وطن قومي لليهود. ولذلك اقتنع قادة بريطانيا بضرورة إصدار إعلان يؤسس للكيان الصهيوني سياسياً. وقد صدر هذا الإعلان عام 1917م، في أواخر الحرب العالمية الأولى، معلناً تأييد تطلعات اليهود إلى إقامة وطن قومي لهم في فلسطين، وعُرف لاحقاً باسم «وعد بلفور».[3]

وجاء في رسالة آرثر جيمس بلفور، وزير الخارجية البريطاني، الموجّهة إلى البارون والتر روتشيلد، أحد قادة الحركة الصهيونية، والتي اشتهرت لاحقاً باسم «وعد بلفور»، ما يأتي:

«عزيزي اللورد روتشيلد، يسرّني بالغ السرور أن أبلغكم، نيابة عن حكومة جلالة الملك، إعلان التعاطف الآتي مع تطلعات اليهود الصهيونيين، الذي عُرض على مجلس الوزراء وحظي بموافقته. إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وستبذل قصارى جهدها لتيسير تحقيق هذا الهدف؛ على أن يكون مفهوماً بوضوح أنه لا يجوز اتخاذ أي إجراء من شأنه المساس بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية القائمة في فلسطين، أو بالحقوق والوضع السياسي اللذين يتمتع بهما اليهود في أي بلد آخر. وأكون ممتناً لكم إذا تفضلتم بإبلاغ هذا الإعلان إلى الاتحاد الصهيوني. آرثر بلفور».[4]

وهكذا، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وهزيمة الإمبراطورية العثمانية الشاسعة وتفككها، خضعت فلسطين للانتداب البريطاني. وعلى إثر ذلك، وعملاً بوعد بلفور والاتفاق بين بريطانيا واليهود، بدأت هجرة اليهود من مختلف أنحاء العالم إلى فلسطين.

وقد أدّى اندلاع الحرب العالمية الثانية إلى تباطؤ وتيرة هجرة اليهود إلى فلسطين. غير أنه بعد انتهاء الحرب، شنّ الاتحاد اليهودي العالمي حملة دعائية واسعة لصالح يهود العالم، مستثمراً ما عُرف بالمحرقة أو محارق هتلر، ومؤكداً ضرورة إقامة وطن يهودي في أرض فلسطين. كما أعلنت الولايات المتحدة، التي عُدّت المنتصر الأكبر في الحرب، دعمها الشامل لهذا الاتحاد.[5] وهكذا تسارعت وتيرة هجرة اليهود إلى الأرض المقدسة.

وفي 29 نوفمبر 1947م، صوّتت الجمعية العامة للأمم المتحدة لصالح تقسيم فلسطين، وبذلك أعلن الكيان الإسرائيلي غير الشرعي قيامه، بدعم من الدول الاستعمارية. وقد أقام نظام بهلوي في إيران علاقات تعاون خاصة مع هذا الكيان. ومنذ نشأة الجهاز الصهيوني في إسرائيل، شرع هذا الكيان في ارتكاب الجرائم على أرض فلسطين المحتلة، وأزهق أرواح أعداد كبيرة من أبنائها. وفي المقابل، وقف علماء الدين ومراجع التقليد الشيعة بثبات في وجه هذا الظلم، وحذّروا مراراً الحكومات والشعوب من خطر إسرائيل، واعترضوا على الجمود وعدم التحرك إزاء هذه القضية.

مواقف مراجع التقليد وعلماء الشيعة من الكيان الصهيوني غير المشروع

تحظى أرض بيت المقدس بمكانة محترمة لدى المسلمين، وقد أكّد القرآن الكريم أهميتها ومكانتها المباركة.[6] وقد دفعت التحركات اليهودية في منطقة فلسطين، وتعاون القوى الاستعمارية معها لمنح اليهود الأراضي، علماء الإسلام إلى اتخاذ مواقف إزاء هذه القضية.

«ففي شهر مرداد/أغسطس من عام 1937م، وجّه عدد من علماء الشيعة الإيرانيين والعراقيين، وهم السيد هبة الدين الشهرستاني، والسيد محمد مهدي الصدر، ومحمد مهدي الأصفهاني، ومحمد مهدي الخراساني، والشيخ راضي آل ياسين، إلى جانب ثلاثة من كبار علماء أهل السنة في العراق، وهم يوسف عطا، وحبيب العبيدي، وإبراهيم الراوي، برقية احتجاج إلى عصبة الأمم ووزارة الخارجية البريطانية، أعربوا فيها عن رفضهم وعدم رضاهم عن تقسيم فلسطين من قبل لجنة بيل البريطانية، وعدّوا ذلك طعنة في قلب الإسلام والعروبة».[7]

كما اتخذ آية الله السيد أبو الحسن الأصفهاني وآية الله الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء خطوات في هذا الاتجاه، حتى إن آية الله كاشف الغطاء أصدر حكماً بالجهاد. واستمر، خلال السنوات اللاحقة، نهج مقاومة الكيان الصهيوني المحتل بين مراجع التقليد وعلماء الدين. وفيما يأتي نستعرض مواقف عدد من علماء الدين والمراجع في إيران إزاء الكيان الإسرائيلي غير المشروع. ومن الجدير بالذكر أن هذا المقال، مراعاةً للاختصار، يكتفي بالإشارة إلى نماذج من تلك المواقف، إذ لا يتسع المجال لاستعراض جميع مواقف المراجع الكبار من هذه القضية المهمة.

آية الله العظمى الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي

كان آية الله العظمى الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي، مؤسس الحوزة العلمية في قم، بعيداً في

الغالب عن العمل السياسي. وقد كرّس جهوده، بحكم مقتضيات المرحلة، لحماية الحوزة العلمية والحفاظ على حيويتها ونشاطها. ومع ذلك، فإنه عندما اتضحت التحركات اليهودية في أرض فلسطين، اتخذ آية الله المؤسس موقفاً من هذه القضية أيضاً.

ففي عام 1933م، الموافق لعام 1312هـ.ش، كانت بريطانيا الاستعمارية، بدعمها للصهيونيين وقمعها للمسلمين، تنتزع أراضي الفلسطينيين منهم وتمنحها للمهاجرين اليهود. وبذلك أدّت بريطانيا الدور الأساسي في تهيئة الظروف لهجرة اليهود، من خلال اغتصاب أراضي الفلسطينيين والسكان الأصليين. وفي تلك المرحلة تحديداً، أعلن آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري دعمه للشعب الفلسطيني.

وفي إطار دعمه للشعب الفلسطيني، بعث آية الله الحائري، في شهر دي/ديسمبر 1933م، رسالة إلى رضا شاه بواسطة آية الله السيد محمد بهبهاني. وجاء في نص برقية آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي إلى رضا خان:

«إلى المقام السامي لحضرة جلالة الملك، أدام الله ملكه

بعد الدعاء لكم بإخلاص، فإن المسلمين اليوم، في ظل هذا الهجوم اليهودي على فلسطين وبيت المقدس، يستغيثون بكم، بوصفكم الحامي الأوحد، وتتطلع أنظارهم جميعاً إلى عطفكم الملكي الخاص. ونأمل، بعون الله تعالى، أن تنتهي هذه الأزمة الخطيرة بفضل عنايتكم الخاصة، بما يكون موجباً لمزيد من دعاء هذا العبد الضعيف وعامة المسلمين لكم.

الأحقر عبد الكريم الحائري».[8]

وقد أبلغ آية الله السيد محمد بهبهاني مضمون برقية آية الله الحائري إلى رئاسة الوزراء في 7 دي/ديسمبر 1933م، وجاء في نص رسالته:

«أرفع إلى مقامكم الكريم، مقروناً بالدعاء، أنني أتشرف بإحاطتكم علماً بأن حضرة آية الله الحاج الشيخ عبد الكريم، ومعه جمع من كبار علماء قم، دام ظلهم، قد بعثوا برقية إلى المقام السامي لجلالة الملك، أدام الله سلطانه، بشأن فلسطين، أعربوا فيها عن مظالمهم وتظلماتهم. وقد أرسل سماحته صورتها إليّ، فأرفعها إليكم الآن. وإذا رأيتم ذلك مناسباً، فلتصدروا أمركم بنشرها في الصحف. ولعلّ برقيات مماثلة تَرِد خلال الأيام القليلة المقبلة من سائر الولايات. وأرى، بحسب تقديري القاصر، أن نشرها في

الصحف ليس أمراً غير مناسب. والأمر في ذلك يعود إلى موافقتكم.

الأحقر محمد موسوي بهبهاني».

وقد ردّ الديوان الملكي على هذا الطلب بالقول: «بناءً على الأمر السامي المطاع لجلالة الملك، أدام الله ظله، يُبلّغ أن نشر البرقية المتعلقة بمسلمي فلسطين في الصحف غير مناسب».[9]

وعلى الرغم من أن نظام رضا خان حال دون نشر هذه البرقية في الصحف، فإن تدخل آية الله الحائري في هذه القضية يدل على أنه كان يرى، بحكم موقعه مرجعاً عاماً للمسلمين في إيران، أن من واجبه وتكليفه الشرعي أن يتخذ موقفاً، نيابةً عن نفسه وعن الشعب المسلم في إيران، إزاء الهجوم اليهودي على فلسطين.

آية الله السيد أبو القاسم الكاشاني

كان آية الله السيد أبو القاسم الكاشاني من العلماء الذين عارضوا بشدة قيام الكيان الصهيوني. وقد كان، بسبب نضاله ضد بريطانيا، شخصية معروفة لدى الدول الاستعمارية، وله سجل طويل في مقاومة القوى الاستعمارية والظالمة. كما وقف في وجه بريطانيا خلال حركة تأميم صناعة النفط في إيران، وواصل نضاله بصفته القائد الديني لهذه الحركة.

وفي 11 دي/ديسمبر 1947م، أصدر آية الله الكاشاني بياناً ردّ فيه على إعلان قيام إسرائيل، محذراً الشعوب الإسلامية من ولادة هذا الكيان الغاصب. وجاء في البيان:

«بسم الله الرحمن الرحيم

كان يُظن، بعد الحرب العالمية المدمرة الثانية، أن الدول الكبرى في العالم ستتعظ بما شهدته تلك الحرب من فظائع، وما خلّفته من خسائر جسيمة في الأرواح والأموال، ومن دمار وبؤس إنساني لن يكون من الممكن تدارك آثاره على مدى سنوات طويلة؛ وأنها ستعمل، تعويضاً عما جرى، على إقامة العدل، واقتلاع جذور الظلم والفساد، والحيلولة دون اندلاع حرب عالمية أخرى، من خلال تأسيس منظمة الأمم المتحدة، لتتولى حماية حقوق الشعوب والدول الضعيفة وحرياتها، كما كانت قد بثّت الأمل في نفوس الشعوب كافة، أثناء الحرب، من خلال دعاياتها المتنوعة. ولكن، مع الأسف، كشفت مواقف منظمة الأمم المتحدة المنافية

للإنصاف والمروءة إزاء إندونيسيا ومصر وفلسطين عن خلاف ذلك، فتحوّل أمل الشعوب الضعيفة إلى يأس.

ولا يُعرف وفق أي منطق أو قانون تُعدّ فلسطين وطناً للمهاجرين اليهود من ألمانيا وروسيا وأمريكا وغيرها، حتى يصدر قرار بتقسيمها لهم؟ فإذا كان المراد إرضاء الصهيونيين وتحقيق المصالح المرجوة منهم، فليمنحوهم أرضاً في بلدانهم، وليقيموا لهم فيها دولة مستقلة. وعلى أي حال، فإن إنشاء الدولة الصهيونية سيكون، في المستقبل، بؤرة لمفاسد كبرى تهدد مسلمي الشرق الأوسط، بل العالم كلها؛ ولن يقتصر ضررها على عرب فلسطين وحدهم. ومن ثم، فإن واجب جميع المسلمين في العالم أن يعملوا، بكل وسيلة ممكنة، على منع هذا الظلم الفادح، ورفع هذا الاعتداء عن مسلمي فلسطين».[10]

وقد تضمّن هذا البيان عدداً من التوقعات المهمة التي استشرف بها آية الله الكاشاني مستقبل هذه القضية، ووجّه من خلالها تحذيراً إلى جميع الشعوب الإسلامية.

ولم يكتفِ آية الله الكاشاني بإصدار البيان، بل دعا الناس إلى التظاهر تعبيراً عن الرفض الشعبي العام. ولهذا، تجمّع في 20 دي/يناير أكثر من ثلاثين ألف شخص في مسجد سلطاني بطهران. وفي العام نفسه، وبالتزامن مع أيام أربعينية الإمام الحسين عليه السلام، احتشد آلاف الأشخاص في منطقة پامنار، حيث كان يقيم آية الله الكاشاني. وفي إحدى هذه المناسبات، ألقى آية الله الكاشاني خطاباً على الحاضرين، أشار فيه إلى النهضة الرافضة للظلم التي قادها الإمام الحسين عليه السلام، واستعرض ظروف عصره وما تتعرض له الأمة المسلمة من مظالم، داعياً الناس إلى المقاومة. وقال في جانب من خطابه:

«إن إخواننا المسلمين في فلسطين يواجهون أحداثاً مفجعة؛ فبيوتهم ومساكنهم معرضة للمصادرة على أيدي اليهود، وأرواحهم وأموالهم وأعراضهم وكراماتهم تُنتهك تحت أقدام اليهود المتعصبين، ولا تزال تُنتهك. وعلى مسلمي العالم أن يعبّروا عن تضامنهم مع مسلمي فلسطين، وأن يسارعوا إلى مساعدتهم بقدر استطاعتهم».[11]

وفي سياق مواصلة نضاله ضد الكيان الصهيوني، دعا هذا العالم المجاهد، يوم 30 أرديبهشت/مايو 1948م، الشعب الإيراني مجدداً إلى التظاهر ضد الكيان الصهيوني. وكتبت صحيفة «داد» في هذا الشأن:

«سيُقام يوم الجمعة تجمع جماهيري كبير في مسجد شاه. وقد اتّخذت الترتيبات اللازمة لتنظيم مظاهرة كبرى ضد الصهيونيين في فلسطين، ومن المقرر أن تتوجه مجموعات مختلفة، في صفوف منتظمة، إلى مسجد شاه عند الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر للمشاركة في هذه المظاهرة. وقد صدر بيان عن آية الله

السيد أبي القاسم الكاشاني دعا فيه جميع المسلمين إلى المشاركة في هذا التجمع».[12]

وعقب دعوة آية الله الكاشاني، انعقد تجمع جماهيري واسع احتجاجاً على الكيان الصهيوني. وفي ذلك اليوم، كشف آية الله الكاشاني جرائم هذا الكيان، وهاجم الاستعمار، ودعا الناس إلى الوحدة، مستعرضاً المآسي التي لحقت بالشعب الفلسطيني. وقال في جانب من خطابه، وهو يدين الكيان الصهيوني:

«إن جميع البلدان الإسلامية في العالم هي وطننا، وعلينا نحن أيضاً أن ندعمها بكل ما أوتينا من قوة، روحاً ومالاً، كلٌّ بحسب قدرته، وألا نقصر في صيانة المصالح والمنافع العليا للمسلمين».

ثم أشار إلى مخالفة الدول الاستعمارية في إنشاء إسرائيل، قائلاً:

«لقد جعلت بعض الدول، من دون أي مسوّغ قانوني، فلسطين، التي تضم المقدسات الإسلامية وموقع المسجد الأقصى، قبلة المسلمين، والتي كانت على مدى قرون طويلة وطناً ومسكناً للمسلمين، وطناً للصهيونيين الذين هاجروا إليها من مختلف أنحاء العالم. في حين أن للحكم الإسلامي حقاً ثابتاً في فلسطين منذ القدم، وأن مسلمي العالم، ولا سيما الشعب الإيراني المسلم، لن يسمحوا للصهيونيين بالاعتداء على هذا الحق الثابت، وبأن يبطشوا بإخواننا المسلمين ويريقوا دماءهم بوحشية، بمخالبهم الملوثة بالفساد والظلم».[13]

كما فتح آية الله الكاشاني حساباً مصرفياً، ودعا الناس إلى إيداع تبرعاتهم المالية لمساعدة الشعب الفلسطيني فيه.[14]

وكتب آية الله الكاشاني أيضاً رسالة إلى منظمة الأمم المتحدة، أعرب فيها عن احتجاجه على تقاعسها إزاء هذا الظلم الواضح، وجاء فيها:

«لقد تمكّنت جماعة من المهاجرين، بمساعدة الدول وأسلحتها، من طرد العرب من جزء من أرض فلسطين التي كانت بيوتهم، والتي أقاموا فيها منذ قرون. ولولا اطمئنان الدول الكبرى إلى تغاضي المنظمة عن هذا العدوان وانتهاك الحقوق، لما أقدمت على ارتكاب مثل هذه الجريمة. واليوم، تنتظر ملايين المسلمين في العالم قرارات المنظمة التي ينبغي لها أن تمنع هذه الاعتداءات، وألا تسمح باستخدام أسلحة بعض أعضائها وأموالهم لصالح أقلية صغيرة، وعلى حساب سكان جزء من أرض الشرق».[15]

آية الله العظمى السيد حسين البروجردي

اتخذ آية الله العظمى السيد حسين البروجردي، الذي تولّى زعامة الحوزة العلمية في قم مدة سبعة عشر عاماً، من 1323 إلى 1340هـ.ش، مواقف شديدة اللهجة ضد الكيان الصهيوني. ففي عام 1327هـ.ش، أصدر زعيم الحوزة العلمية في قم بياناً مكتوباً ردّ فيه على قيام الكيان الصهيوني. ودعا في رسالته مسلمي إيران والعالم إلى تقديم المساعدة للمسلمين، فضلاً عن إعلان البراءة من اليهود المحتلين في مجالس الدعاء والابتهال.

واستناداً إلى الآية 82 من سورة المائدة[16]، وصف اليهود بأنهم أشد الناس عداوة للمسلمين، وقال:

«إن ما يثير بالغ العجب والأسف هو موقف اليهود؛ فهم، بعد أن عاشوا قرابة أربعة عشر قرناً في ظل حماية الإسلام والمسلمين، حيث صينت أرواحهم وأعراضهم وأموالهم وشعائرهم الدينية، يريدون اليوم أن ينتقموا من المسلمين لقاء كل ذلك الإحسان الذي حظوا به طوال تلك المدة الطويلة».

ثم أشار إلى جرائم اليهود في أرض فلسطين، مؤكداً:

«إنهم يلاحقون الرجال الصالحين ويرهبونهم ويقتلونهم، ويقتلون أطفالهم، وينتهكون أعراضهم، ويهدمون معابدهم وبيوتهم، ولا يتورعون عن ارتكاب أي شر أو جريمة بحقهم، ولا يكفّون عن أي تجاوز أو اعتداء».

وفي ختام بيانه، ابتهل آية الله البروجردي إلى الله تعالى قائلاً:

«نسأل الله تعالى أن ينصر المسلمين ويؤيدهم من لدنه، وأن يخذل هذه الجماعة التي لا تراعي حقوق المسلمين، وأن يذلّ المعتدين ويجعلهم في أحطّ منزلة بين الأمم».

ثم دعا المسلمين قائلاً:

«إننا نرجو من إخواننا المؤمنين في إيران وسائر أنحاء العالم أن يسألوا الله تعالى أن يُحلّ الذل والهوان باليهود، وأن يتضرعوا إليه لنصرة إخوانهم المسلمين وتمكينهم من الانتصار عليهم».[17]

ولم يدعُ آية الله البروجردي المسلمين قط إلى الانتفاض ضد إسرائيل؛ ذلك أن المسلمين، حين أعلنت

إسرائيل قيامها، لم يكونوا في وضع يسمح لهم بالتصدي لها. فقد انخرطت دول إسلامية كثيرة، على غير إرادتها، في الحرب العالمية الثانية، كما وقعت دول عديدة منها، بعد الحرب، تحت وطأة الاستعمار. ومن جهة أخرى، لم تكن القدرات العسكرية للمسلمين بمستوى يمكّنهم من مواجهة إسرائيل. وكان آية الله البروجردي مدركاً لهذه الظروف، ويعلم أن المواجهة الحقيقية مع إسرائيل تحتاج إلى مرور الوقت.[18]

وكان هذا المرجع الكبير، الذي حمل راية الوحدة بين الشيعة والسنة في عصره، يدعم الشعب الفلسطيني المظلوم من منطلق التقريب بين المذاهب الإسلامية.[19] وقد كان للتقريب بين المذاهب الإسلامية أثر مهم في تطورات القضية الفلسطينية؛ إذ أسهمت العلاقات الودية والمراسلات بينه وبين الشيخ محمود شلتوت، أحد أبرز القيادات الدينية في مصر، في صدور فتوى شلتوت التاريخية التي أقرت بمشروعية المذهب الشيعي، الأمر الذي ساعد المسلمين، بعيداً عن الانقسامات المذهبية بين السنة والشيعة، على النهوض لدعم الشعب الفلسطيني.[20]

آية الله العظمى السيد محمد رضا الكلبايكاني

كان آية الله العظمى الحاج السيد محمد رضا الكلبايكاني من المراجع الذين أولوا القضية الفلسطينية اهتماماً بالغاً. فقد أكد اغتصاب إسرائيل لأرض الفلسطينيين، وأعلن تضامنه ووقوفه إلى جانب الشعب الفلسطيني المسلم.

وعندما أقدم الكيان الصهيوني المحتل، في 30 مرداد/أغسطس 1969م، على إحراق المسجد الأقصى، قبلة المسلمين الأولى، إثر هجومه عليه، اتخذ آية الله الكلبايكاني أحد أشد مواقفه حدة تجاه إسرائيل. فقد أصدر بياناً بهذه المناسبة أعلن فيه الحداد العام، ودعا علماء الدين والناس إلى المشاركة في مجلس يُعقد يوم الجمعة 15 جمادى الآخرة، الموافق 7 شهريور/سبتمبر، في مدرسة فيضية بمدينة قم. وقد نُشر نص هذا البيان في 10 جمادى الآخرة 1389هـ، الموافق 2 شهريور/أغسطس 1969م، وجاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾.[21]

إن الحوزة العلمية في قم والجماعة الدينية الشيعية تتقدمان بأحر التعازي إلى مقام خاتم الأنبياء والمرسلين صلى ا عليه وآله وسلم، الذي جُرح قلبه الشريف بهذه المصيبة الكبرى، إثر الحادثة المفجعة المتمثلة في إحراق المسجد الأقصى، وهي فاجعة لا يمكن تدارك آثارها.

وتعبيراً عن الحزن والاستنكار لأفعال أعداء الإسلام ومحتلي المقدسات الإسلامية، إسرائيل والمعتدين اليهود، سيُقام مجلس عصر يوم الجمعة 15 جمادى الآخرة في مدرسة فيضية. ومن المناسب أن يعلن العلماء الأعلام وعامة المسلمين في المدن، بل وفي سائر البلدان الإسلامية، الحداد العام، وأن يعبّروا، من خلال إقامة هذه المجالس والمشاركة فيها، عن تضامنهم ودعمهم لإخوانهم المسلمين في مواجهة الصهيونية وأعوان الاستعمار.

إن ا عزيز ذو انتقام.

حرر في العاشر من شهر جمادى الآخرة سنة 1389هـ.

محمد رضا الموسوي الكلبايكاني».[22]

وعقب نشر هذا البيان، أصدرت السافاك، في اليوم نفسه، تقريراً عاجلاً للغاية جاء فيه:

«في صباح هذا اليوم، عُلّقت نسخة من بيان مطبوع بطريقة الاستنساخ، موقّع باسم الكلبايكاني، على جدار باحة مدرسة فيضية، ويتضمن [...] وقد ورد أن المذكور يعتزم اتخاذ إجراءات من خلال طباعة هذا البيان وتوزيعه في المدن الأخرى...».[23]

وفي 3 شهريور/سبتمبر 1969م، أصدرت السافاك أمراً باعتقال القائمين على توزيع البيان على وجه السرعة. وجاء في التقرير:

«من: القسم السادس

إلى: رئاسة فروع السافاك الأربع

وفقاً للمعلومات الواردة، من المقرر أن يصدر آية ا الكلبايكاني بياناً بشأن حريق المسجد الأقصى،

وأن يُطبع ويوزّع بين الناس. يرجى إصدار التعليمات، في ضوء الإمكانات المتاحة، إلى المصادر التابعة لكم، مع تزويدها بالتوجيهات اللازمة، لاتخاذ الإجراءات المطلوبة.

رئيس السافاك في طهران».[24]

وقد أصاب السافاك خوف شديد من التأثير الواسع لهذا البيان، فلجأ إلى السيد كاظم شريعتمداري. وأبدى شريعتمداري، خلال لقائه رئيس السافاك في قم، قلقه إزاء إقامة هذا المجلس، وقال إنه سيعمل، بصورة غير مباشرة، على منع الطلاب الخاضعين لنفوذه من الذهاب إليه.[25] كما اتخذ السافاك إجراءات أخرى لإلغاء المجلس، وبذل نظام بهلوي قصارى جهده للحيلولة دون إقامته.[26]

وقد أثار ذلك رد فعل آية الله الكلبايكاني، فأصدر بياناً آخر أعرب فيه عن استيائه من العراقيل التي وضعتها الأجهزة الرسمية. وبسبب خشية النظام من انعقاد هذا التجمع، أُغلقت أبواب مدرسة فيضية، ومُنع الناس من الاجتماع فيها.[27]

وإلى جانب ذلك، اتخذ آية الله الكلبايكاني مواقف شديدة اللهجة ضد الكيان الصهيوني في مجالس الوعظ والخطابة أيضاً. ففي 4 شهريور/سبتمبر، ألقى خطاباً في المسجد الأعظم بمدينة قم، وأعلن في مستهل حديثه أنه علّق دروسه لمدة يومين احتجاجاً على جرائم إسرائيل في المسجد الأقصى. وأكد أن «على المسلمين أن يتحدوا، وأن يستعيدوا من إسرائيل المقدسات الواقعة في الأراضي المحتلة».[28]

ورداً على تهديدات الأجهزة الأمنية بسبب إصدار البيان المذكور، أعلن آية الله الكلبايكاني صراحةً: «إن كان هذا العمل جريمة، فتعالوا واعتقلوني».[29] ثم أضاف: «كلما التزمنا الصمت وابتعدنا عن السياسة، أساءت الأجهزة الرسمية فهم موقفنا وأخطأت في تقديره».[30]

ولم تقتصر معارضة آية الله الكلبايكاني للكيان الإسرائيلي الغاصب على هذه المواقف. ففي أكتوبر 1973م، الموافق لمهر 1352هـ.ش، وبعد ست سنوات من حرب الأيام الستة،[31] كانت آثار تلك الحرب وتداعياتها لا تزال قائمة. وقد دفعت هذه الأوضاع مصر وسوريا مرة أخرى إلى خوض الحرب ضد إسرائيل. وبالتزامن مع هذا الصراع، بعث آية الله السيد محمد رضا الكلبايكاني، بتاريخ 21 مهر/أكتوبر 1973م، رسالة أعلن فيها دعمه للمسلمين. وجاء فيها:

«حضرة الشيخ أحمد كفتارو، مفتي الجمهورية السورية، تحية طيبة وبعد.

إن الكفاح العادل والشجاع الذي يخوضه الجيش المسلم السوري، جنباً إلى جنب مع إخوانه المصريين، ضد المعتدين الصهيونيين، يُعدّ كفاحاً لجميع مسلمي العالم في مواجهة اليهود المعتدين وأعداء ا. وإذ نبعث بتحياتنا الحارة إلى الجيش السوري الباسل، فإننا نهنئكم بهذه الخطوة الشجاعة التي انطلقت بهدف دحر العدو وكسر غروره، ونسأل ا تعالى أن يكلّل جهودكم بالنجاح والنصر. ونؤكد لكم أن الشعب المسلم في إيران يتابع هذه المعركة باهتمام بالغ ومن أعماق قلبه، لحظة بلحظة.

وإن الشعب الإيراني، إذ يجدد دعمه لقضية فلسطين، يعلن استعداده لتقديم كل مساعدة ممكنة نصرةً لقضية الإسلام في هذه المعركة.

15 رمضان المبارك 1393هـ / إيران

محمد رضا الموسوي الكلبايكاني».[32]

وبحسب تقرير السافاك، ألقى آية ا الكلبايكاني يوم 27 مهر/أكتوبر 1973م، الموافق 21 رمضان، خطاباً في مسجد الإمام الحسن العسكري عليه السلام بمدينة قم، أشار فيه إلى جرائم الكيان الصهيوني وهجماته على المستشفيات وقتله المدنيين، وأعلن صراحةً: «إذا سمحوا لنا، فنحن مستعدون لحمل السلاح والتوجه إلى الجبهة نصرةً لإخواننا».[33] وكانت مواقف آية ا الكلبايكاني من إسرائيل شديدة الوضوح والحزم، وقد أشرنا هنا إلى نماذج قليلة منها.

وفي تقرير آخر مؤرخ في 1 فروردين/مارس 1978م، تناولت السافاك موقف آية ا الكلبايكاني المعارض للكيان الصهيوني، وجاء فيه:

«الموضوع: إصدار بيان لآية ا السيد محمد رضا الكلبايكاني بشأن هجوم القوات الإسرائيلية على جنوب لبنان

في يوم 1/1/2537، أصدر آية ا الكلبايكاني بياناً بشأن العدوان الإسرائيلي على جنوب لبنان، وما أسفر عنه من قتل الأبرياء وتدمير أماكنهم ومنازلهم، وكتب فيه:

إننا، إذ نحيّي تضحيات المسلمين الغيارى واستبسالهم في الدفاع عن شرفهم وكرامتهم، نتقدم بأحر التعازي إلى العلماء الأعلام والإخوة المؤمنين وذوي ضحايا جنوب لبنان. فقبل أن تندمل جراح المسلمين

إثر الأحداث الدامية في قم وتبريز، جاء نبأ كارثة جنوب لبنان ليجرح قلوب الجميع من جديد، ويجعل الشعب المسلم يعيش الحزن في هذه الأيام».[34]

آية الله العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي

كان العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، بحكم انشغاله بالبحث العلمي، أقل اهتماماً بالسياسة من غيره من المراجع، إذ كان جلّ اهتمامه منصبّاً على القضايا العلمية والفلسفية والقرآنية. ومع ذلك، فقد أبدى اهتماماً بالشؤون السياسية في بعض المناسبات.[35]

وقد أولى العلامة الطباطبائي قضية إسرائيل اهتماماً خاصاً، وكان يعدّها كياناً غير مشروع وغاصباً. وقد كتب، في موضع يتناول فيه تسليح الكيان الصهيوني من قبل بريطانيا وفرنسا وأمريكا، ما يأتي:

«إن جزءاً صغيراً من فلسطين يشكّل ميناءً بحرياً وقاعدة عسكرية للقوى الكبرى، بريطانيا وفرنسا وأمريكا، وتحكمه حكومة صورية تابعة تُسمّى دولة إسرائيل. وقد بذلت هذه القوى، طوال هذه المدة القصيرة، كل ما في وسعها لتعزيزها وتسليحها، ولم تدّخر جهداً للحيلولة دون اتحاد الدول الإسلامية في مواجهتها».[36]

وفي عام 1349هـ.ش، وفي وقت كانت فيه العلاقات الوثيقة بين إسرائيل ونظام بهلوي واضحة للجميع، أعلن العلامة الطباطبائي تأييده للشعب الفلسطيني على نحو علني. وفي هذا الصدد، يقول المرحوم حجة الإسلام والمسلمين السيد هادي خسروشاهي:

«إلى جانب القضايا الداخلية، كان العلامة الطباطبائي يبدي رأيه أو يؤدي تكليفه إزاء القضايا المهمة في العالم الإسلامي أيضاً. ومن بين تلك القضايا، قضية فلسطين؛ إذ اتخذ سماحته، بالتعاون مع المرحوم آية الله السيد أبو الفضل زنجاني والشهيد آية الله الشيخ مرتضى المطهري، خطوات عملية لمساعدة الشعب الفلسطيني، من خلال فتح حسابات مصرفية مشتركة في عدد من بنوك طهران. وقد دلّ هذا العمل، في تلك الظروف الحساسة، على شعور خاص بالمسؤولية».[37]

وفي ربيع وصيف عام 1349هـ.ش، جرى توزيع نسخ من بيان تصدّرته رواية نبوية تقول: «مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يُنَادِي يَا لَلْمُسْلِمِينَ فَلَمْ يُجِبْهُ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ»،[38] وقد تضمّن البيان أرقام حسابات مصرفية خُصصت لمساعدة المجاهدين الفلسطينيين.[39] وكانت هذه البيانات تُوزّع

في الأسواق والمساجد والهيئات الدينية والجامعات، ممهورة بتوقيعات آيات الله السيد محمد حسين الطباطبائي، ومرتضى المطهري، والسيد أبو الفضل الموسوي الزنجاني. وفي الوقت نفسه، كان رجال الدين الثوريون يدعون الناس، من على المنابر، إلى مساعدة الشعب الفلسطيني عبر إيداع التبرعات في الحسابات المصرفية المذكورة.

ومع اتساع نطاق توزيع هذه البيانات، أصدرت السافاك تقريراً آخر في 16 أرديبهشت/مايو 1970م، أشارت فيه إلى فتح الحسابات المذكورة، وطلبت تحديد هوية أصحابها «بصورة غير مباشرة».[40] كما أفاد أحد مخبري السافاك باحتمال إرسال هذه المساعدات «سراً» إلى «اللاجئين الفلسطينيين».[41]

واستدعت السافاك ثلاثة من رجال الدين، غير أن أياً منهم لم يستجب للاستدعاء ولم يراجع مكتب السافاك. وبسبب مكانة العلامة الطباطبائي وموقعه، لم تتمكن السافاك من ممارسة مزيد من الضغوط عليه، كما أخفقت في وقف أنشطته المناهضة للصهيونية خلال تلك المرحلة.[42]